الأمل حياة

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

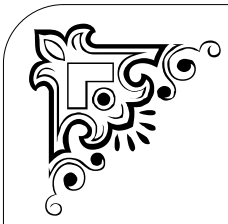

الْأَمَلُ وَأَسْرَارُهُ اللَّطِيفَةُ

فَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ لِأَحَدٍ عَيْشٌ، لَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْمُلُ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَهُ أَمَلٌ فِي أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ مَا تَتَغَيَّرُ بِهِ الْأَحْوَالُ، وَتَسْعَدُ بِهِ الْحَيَاةُ.

لَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَمُنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ مِنَ الصَّعْبِ إِلَىٰ السَّهْلِ، وَمِنَ التَّعْسِيرِ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ.

لَوْ لَا هَذَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ أَحَدٌ بِعَيْشٍ، وَلَا طَابَتْ نَفْسُ إِنْسَانٍ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَغْرِسُ غَرْسًا؛ فَهَذَا الْغَرْسُ لَا يُؤْتِي ثَمَرَتَهُ وَلَا أُكُلَهُ إِلَّا بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ.

لَوْ لَا الْأَمَلُ مَا غَرَسَ إِنْسَانٌ غَرْسًا، وَلَا بَنَىٰ أَحَدٌ بَيْتًا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا، وَيَبْنِي بَيْتًا؛ فَإِنَّهُ بِرَجَاءِ أَنْ يُعَمِّرَ هَذَا الْبَيْتَ، وَأَنْ يَعِيشَ فِيهِ سَنَوَاتٍ طِوَالًا.

لَوْ لَا أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَزَ فِي نَفْسِهِ الْأَمَلُ؛ مَا بَنَىٰ أَحَدٌ بَيْتًا، وَمَا غَرَسَ أَحَدٌ غَرْسًا، وَمَا عَمِلَ أَحَدٌ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَالْأَمَلُ فِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ، وَمِنْ أَجْلِهِ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةَ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يَحْيَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ وَإِلَّا لَتَوَقَّفَتْ مَعَايِشُ النَّاسِ، وَمَا عَمِلَ أَحَدٌ فِي الْحَيَاةِ عَمَلًا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ» - الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ١١-١٠-٢٠٠٥م.

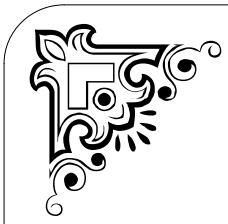

الْأَمَلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ أَمَلِ وَرَجَاءِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَرْزُقَهُ ﷻ بِالْوَلَدِ الصَّالِحِ، فَكَانَتِ الْبُشْرَى مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، **قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠١].

* **وَيَعْقُوبُ** عليه السلام **أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ فِي أَمَلِهِ وَرَجَائِهِ فِي رَبِّهِ، رَغْمَ مِحْنَتِهِ الشَّدِيدَةِ بِفَقْدِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٣-٨٧].

* **وَهَذَا دُعَاءُ أَيُّوبَ** عليه السلام **لِرَبِّهِ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الضُّرَّ الَّذِي مَسَّهُ، وَأَمَلُهُ وَقُوَّةُ رَجَائِهِ فِي اللهِ، وَاسْتِجَابَةُ اللهِ لَهُ، قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٤].

* **وَهَذِهِ بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُهُ وَلَدًا عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥١-٥٦].(*).

* **اللهُ** جَلَّ وَعَلَا **أَخْبَرَ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَثِيرًا؛ فَلْيَكُنِ الْمُسْلِمُ عَلَى أَمَلٍ دَائِمٍ بِتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ١-٦].

قَدْ فَتَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، وَوَسَّعْنَاهُ لِلْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، وَجَعَلْنَاهُ مُنْبَسِطًا رَاضِيًا، وَمُتَحَمِّلًا لِأَعْبَاءِ حَمْلِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ، وَمُتَحَمِّلًا أَخْلَاقَهُمْ.

وَحَطَطْنَا عَنْكَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَكَ مِنْ هُمُومٍ كُبْرَىٰ لِإِصْلَاحِ قَوْمِكَ، وَإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ خَبَائِثِهَا وَظُلْمِهَا وَفَسَادِهَا.

فَبَيَّنَ لَكَ وَسَائِلَ التَّبْلِيغِ، وَأَسَالِيبَ التَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ، فَأَلْقَىٰ عَنْكَ كُلَّ هُمُومِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَعْلِيمَاتٍ وَأَوَامِرَ رَبَّانِيَّةٍ تُوَضِّحُ لَكَ مَنْهَجَ دَعْوَتِكَ.

وَأَعْلَيْنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ذِكْرَكَ الْحَسَنَ؛ إِذْ جَعَلْتُكَ رَسُولًا، وَاسْتَمَرَّ عَطَائِي لَكَ حَتَّىٰ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالتَّشَهُّدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ يُسْرًا وَرَخَاءً عَاجِلًا، فَإِنْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ».

يُظْهِرْكَ اللهُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ؛ فَذَلِكَ تَيْسِيرٌ مِنْ بَعْدِ التَّعْسِيرِ.

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَثِيرًا كَذَلِكَ؛ فَكُنْ عَلَىٰ أَمَلٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَلَقَّ الْأَحْدَاثَ الْحَاضِرَةَ الْمُؤْلِمَةَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَبِنَفْسٍ مُنْشَرِحَةٍ مَشْحُونَةٍ بِالْأَمَلِ فِيمَا سَيَأْتِي، صَابِرَةٍ عَلَىٰ الْعُسْرِ الْوَاقِعِ.

فَالنَّفْسُ الْمَشْحُونَةُ بِأَمَلِ الْيُسْرِ الْقَادِمِ يَضْمُرُ لَدَيْهَا أَلَمُ الْعُسْرِ الْقَائِمِ، وَمُنْتَظِرُ الْفَجْرِ الْقَرِيبِ لَا يَشْعُرُ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْقَاتِمِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! كَمَا بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَهَمِّيَّةَ الْأَمَلِ وَثَمَرَاتِهِ؛ نَهَى عَنِ الْيَأْسِ وَآثَارِهِ، وَحَذَّرَ مِنَ الْقُنُوطِ وَعَوَاقِبِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَلَّا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَمِّلُوا فِي رَوْحِ اللهِ، وَأَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا مِنْ وَسِيعِ رَحْمَتِهِ.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

يُخْبِرُ اللهُ عِبَادَهُ الْمُسْرِفِينَ بِوَسِيعِ كَرَمِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ الْإِنَابَةِ قَبْلَ أَلَّا يُمْكِنَهُمْ ذَلِكَ.

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ مُخْبِرًا لِلْعِبَادِ عَنْ رَبِّهِمْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِاتِّبَاعِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالسَّعْيِ فِي مَسَاخِطِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الشرح: ١-٦].

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: لَا تَيْأَسُوا مِنْهَا فَتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ، وَتَقُولُوا: قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا، وَتَرَاكَمَتْ عُيُوبُنَا، فَلَيْسَ لَهَا طَرِيقٌ يُزِيلُهَا، وَلَا سَبِيلٌ يَصْرِفُهَا، فَتَبْقُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُصِرِّينَ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ، مُتَزَوِّدِينَ مَا يُغْضِبُ عَلَيْكُمُ الرَّحْمَنَ.

وَلَكِنِ اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَيْ: وَصْفُهُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ وَصْفَانِ لَازِمَانِ ذَاتِيَّانِ، لَا تَنْفَكُّ ذَاتُهُ عَنْهُمَا أَبَدًا، وَلَمْ تَزَلْ آثَارُهُمَا سَارِيَةً فِي الْوُجُودِ، مَالِئَةً لِلْمَوْجُودِ، تَسِحُّ[1] يَدَاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيُوَالِي النِّعَمَ عَلَىٰ الْعِبَادِ وَالْفَوَاضِلَ فِي السِّرِّ وَالْجَهَارِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ، وَالرَّحْمَةُ سَبَقَتِ الْغَضَبَ وَغَلَبَتْهُ.

وَلَكِنْ لِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَنَيْلِهِمَا أَسْبَابٌ، إِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا الْعَبْدُ؛ فَقَدْ أَغْلَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا؛ بَلْ لَا سَبَبَ لَهَا غَيْرُهُ: الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ، وَالتَّأَلُّهُ وَالتَّعَبُّدُ؛ فَهَلُمَّ إِلَىٰ هَذَا السَّبَبِ الْأَجَلِّ، وَالطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ.

---

(١) (تَسِحُّ) بِتَخْفِيفِ السِّينِ وَكَسْرِهَا، أَيْ: دَائِمَةُ الصَّبِّ والهطْل بالعَطاء، وَ(السَّحُّ): الصَّبُّ الدَّائِمُ، انظر: شرح النووي علىٰ «**صحيح مسلم**»: ٧/ ٨٠، و«**النهاية في غريب الحديث**» لابن الأثير: حَرْفُ السِّينِ: بَابُ السِّينِ مَعَ الْحَاءِ، ٢/ ٣٤٥.

وَلِهَذَا أَمَرَ تَعَالَىٰ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بِقُلُوبِكُمْ، ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ بِجَوَارِحِكُمْ.

إِذَا أُفْرِدَتِ الْإِنَابَةُ؛ دَخَلَتْ فِيهَا أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ كَانَ الْمَعْنَىٰ -كَمَا مَرَّ-.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، وَأَنَّهُ مِنْ دُونِ إِخْلَاصٍ لَا تُفِيدُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ شَيْئًا.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ مَجِيئًا لَا يُدْفَعُ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا الْإِنَابَةُ وَالْإِسْلَامُ؟ وَمَا جُزْئِيَّاتُهَا وَأَعْمَالُهَا؟

فَأَجَابَ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ مِمَّا أَمَرَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ؛ كَمَحَبَّةِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَتَرْكِ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ، وَمِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا.

فَالْمُتَتَبِّعُ لِأَوَامِرِ رَبِّهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَنَحْوِهَا هُوَ الْمُنِيبُ الْمُسْلِمُ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

وَكُلُّ هَذَا حَثٌّ عَلَىٰ الْمُبَادَرَةِ، وَانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ»(١). (*).

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٧٢٧ و٧٢٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

الْأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَلَ إِلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ التَّيْسِيرَ وَالتَّبْشِيرَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ؛ قَالَ: «**يَسِّرا وَلَا تُعَسِّرا، وَبَشِّرا وَلَا تُنَفِّرا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٩٣، رقم (٣٩).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ٣/ ١٣٥٨، رقم (١٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ١٦٣، رقم (٣٠٣٨) وفي مواضع، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

«وَنَبِيُّنَا ﷺ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا؛ كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**».

قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟

قَالَ: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»(٢). (*).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٥٢٤، رقم (٦١٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٤).

وفي رواية للبخاري: ١/ ١٦٣، رقم (٦٩)، بلفظ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا**».

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٢١٤ و٢٤٤، رقم (٥٧٥٦ و٥٧٧٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٧٤٦، رقم (٢٢٢٤)، من حديث: أَنَسٍ ﷺ.

والحديث في «الصحيحين» أيضا من رواية أبي هريرة ﷺ، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «ضَوَابِطُ الرِّوَايَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ» – [الْجُزْءُ الثَّانِي: ٤٨٤].

وَالرَّجَاءُ وَالْأَمَلُ فِي رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَى- مِمَّا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ الْمُشَرَّفَةِ؛ فَعَنْ شَطْبٍ الطَّوِيلِ: أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً –وَالْحَاجَةُ: هِيَ الْحَاجَةُ الصَّغِيرَةُ، وَالدَّاجَةُ: هِيَ الْحَاجَةُ الْكَبِيرَةُ– أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: «**أَسْلَمْتَ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «**فَافْعَلِ الْخَيْرَاتِ، وَاتْرُكِ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلْهَا اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهَا**».

قَالَ: وَغَدَرَاتي وَفَجَرَاتِي؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّىٰ تَوَارَىٰ(١). (*).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «**الآحاد والمثاني**»: ٥/ ١٨٨ و١٨٩، رقم (٢٧١٨)، والبزار كما في الزوائد علىٰ «**المسند**»: ٤/ ٧٩ و٨٠، رقم (٣٢٤٤)، والدولابي في «**الكنىٰ**»: ١/ ٢٣٣، رقم (٤٢٠)، وأبو القاسم البغوي في «**معجم الصحابة**»: ٣/ ٣٢٢، رقم (١٢٦٢)، وابن قانع في «**معجم الصحابة**»: ١/ ٣٤٩، ترجمة (٤٤١)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: ٧/ ٣٧٥ و٣٧٦، رقم (٧٢٣٥).

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: ٣/ ١١٦٢، رقم (٣٣٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْكَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِي» – الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ١٥-٤-٢٠١٦م.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ -فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ-: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

زَادَ فِي رِوَايَةٍ(٢): «**أَوْ مَحَاهَا، وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

مَعَ هَذَا الْحِسَابِ لِلْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ!!

مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ!!

وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ فَعَمِلَهَا؛ كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، أَوْ مَحَاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: «**وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**». فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ مَعَ هَذَا الْكَرَمِ فِي الْحِسَابِ إِلَّا الْهَالِكُ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ-.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً**.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٢٣، رقم (٦٤٩١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١١٨، رقم (١٣١).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ١/ ١١٨، بلفظ: «وَمَحَاهَا اللهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ».

وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً؛ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةٍ»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ(٢): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ**».

وَفِي أُخْرىٰ(٣) -أَيْ: فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ لَهُ- قَالَ: عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَإِنِّي أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً؛ فَإِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**»؛ أَيْ: تَرَكَهَا لِأَجْلِي.

عَنْ مَعْنِ بنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: كَانَ أَبِي (يَزِيدُ) أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**»(٤). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.(*).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٣/ ٤٦٥، رقم (٧٥٠١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١١٧، رقم (١٢٨).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ١/ ١١٨، رقم (١٣٠).

(٣) «**صحيح مسلم**»: ١/ ١١٧، رقم (١٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٢٩١، رقم (١٤٢٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

فَسُبْحَانَ رَبِّيَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِي عَمَّتْ رَحْمَتُهُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَوَسِعَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ الآنَاتِ وَاللَّحَظَاتِ.

وَسَعَةُ رَحْمَتِهِ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَمَحَبَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ، لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ رَحْمَتِهِ إِلَّا الْأَشْقِيَاءُ الْمَحْرُومُونَ، وَلَا أَشْقَىٰ مِمَّنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَتُهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً=وَكِفَايَةً ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا **-وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ-**: ﴿**كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ**﴾ **[الأنعام: ٥٤].**

وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَلَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَهُوَ خَبَرٌ مِنْهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ صَادِقُ الْمَقَالِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، إِنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَخَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

وَرَحْمَتُهُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلَادِنَا وَأَنْفُسِنَا.

فَكُلُّ رَاحِمٍ لِلْعَبْدِ؛ فَاللهُ أَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لَوْ جُمِعَتْ رَحَمَاتُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ لَكَانَتْ رَحْمَةُ اللهِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ، وَمَا تَبْلُغُ هَذِهِ الرَّحَمَاتُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟!!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ صَبِيٌّ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ؛ رَحْمَةً بِهِ، وَحَنَانًا وَبِرًّا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرْحَمُهُ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «**فَاللهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْكَ بِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**». وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

أَرْحَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ: الْأُمُّ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّ رَحْمَةَ الْأُمِّ وَلَدَهَا لَا يُسَاوِيهَا شَيْءٌ مِنْ رَحْمَةِ النَّاسِ أَبَدًا؛ حَتَّىٰ الْأَبُ لَا يَرْحَمُ أَوْلَادَهُ مِثْلَ أُمِّهِمْ فِي الْغَالِبِ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَحْلِبُ.. تَسْقِي؛ إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**».

قُلْنَا: لَا.

فَقَالَ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَأَيْنَ تَقَعُ رَحْمَةُ الْوَالِدَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟!! فَهُوَ أَرْحَمُ بِالْعَبْدِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، الرَّفِيقَةِ بِهِ فِي حَمْلِهِ وَرَضَاعِهِ وَفِصَالِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-» - مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: الرَّحْمَةُ، الْعِلْمُ) - الْأَحَدُ ١٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣-٦-٢٠١٢م.

وَمِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِ الْأَمَلِ الَّتِي فَتَحَتْهَا السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ: أَمَلُ الْمَرِيضِ فِي الشِّفَاءِ، وَالْبُشْرَى لَهُ بِالْأَجْرِ؛ فَمِنَ السُّنَّةِ: التَّبْشِيرُ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ لِلْمَرِيضِ؛ مُوَاسَاةً وَتَصْبِيرًا؛ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا.

فَالْمَرَضُ وَالِابْتِلَاءُ يُفِيدُ الْمُؤْمِنَ، وَيَرْفَعُ دَرَجَتَهُ، وَأَمَّا الْكَافِرُ الْفَاجِرُ فَلَا؛ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ، وَعَادَ مَرِيضًا فِي كِنْدَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: أَبْشِرْ؛ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٩٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، بِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٠٨١٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ.

وَأَخْرَجَهُ هَنَّادُ بْنُ السُّرِّيِّ فِي «الزُّهْدِ» (٤١٤)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (١/ ٢٠٦)، وَالْمِزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْكَمَالِ» (١١/ ٩٨) (٢٣٧٣)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي مُعَاوِيَةَ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَرَضِ وَالْكَفَّارَاتِ» (٤٥)، مِنْ طَرِيقِ: شُعْبَةَ.

ثَلَاثَتُهُمْ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَلْمَانَ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٩٤٤٥)، مِنْ طَرِيقِ: مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، نَا أَبُو الْجَوَّابِ، نَا عَمَّارُ بْنُ زُرَيْقٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَلْمَانَ، بِهِ.

وَصَحَّحَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٧٩).

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».

«**مُسْتَعْتَبًا**»: «الْمُسْتَعْتَبُ»: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ «اسْتَعْتَبَ»؛ أَيْ: رَجَعَ عَنِ الْإِسَاءَةِ، وَطَلَبَ الرِّضَا.

فَمَرَضُ الْمُؤْمِنِ بَابٌ عَظِيمٌ لِطَلَبِ الرِّضَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.

بَابٌ عَظِيمٌ لِلرُّجُوعِ عَنِ الذَّنْبِ وَالْإِثْمِ، وَإِحْسَانِ التَّوْبَةِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ تَكْفِيرِهِ الذُّنُوبَ.

«**مَرَضُ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ**»: «عَقَلَ الْبَعِيرَ»: ضَمَّ رُسْغَ يَدِهِ إِلَىٰ عَضُدِهِ، وَرَبَطَهُمَا مَعًا بِالْعِقَالِ؛ لِيَبْقَىٰ بَارِكًا.

«**ثُمَّ أَرْسَلُوهُ**»؛ أَيْ: أَطْلَقُوا عِقَالَهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ؟ وَلِمَ أُرْسِلَ؟

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ الْقَاسِمَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**مَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ**»(١). وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٦٢٠٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٢٢٢٤)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي عَاصِمٍ.

كِلَاهُمَا، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ أَيْضًا (٢٥٦٧٦)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَرَضِ وَالْكَفَّارَاتِ» (٢٥٥)، مِنْ طَرِيقِ: يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٩٣)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ.

كِلَاهُمَا، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَهُ.

=

فِي الْحَدِيثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ؛ لِأَنَّ الْأَذَىٰ لَا يَنْفَكُّ غَالِبًا مِنْ أَلَمٍ، أَوْ هَمٍّ، أَوْ غَمٍّ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَكَذا الْآلَامُ وَالْأَوْجَاعُ الْبَدَنِيَّةُ، وَكَذَا الْقَلْبِيَّةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ تُكَفَّرُ بِهِ الذُّنُوبُ لِمَنْ وَقَعَتْ لَهُ.

فَهَذِهِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ احْتَسَبَ بِذَلِكَ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

عِبَادَ اللهِ! مِنَ السُّنَّةِ: أَنْ يَنْصَحَ الْعَائِدُ لِلْمَرِيضِ بِالدُّعَاءِ، وَأَلَّا يَقُولَ عِنْدَهُ إِلَّا خَيْرًا؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ**».

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَادَ مَرِيضًا؛ لَمْ يَذْكُرْ عِنْدَهُ إِلَّا مَا يَجْعَلُ الْمَرِيضَ يَائِسًا مِنَ الْحَيَاةِ بِسَبَبِهِ!!

وَمِنَ السُّنَّةِ: أَنْ يُنَفِّسَ الْعَائِدُ لِلْمَرِيضِ فِي أَجَلِهِ، وَأَنْ يَبْعَثَ الْأَمَلَ فِي صَدْرِهِ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ عِنْدَهُ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ.(*).

=

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْعِلَلِ» (١٤/ ٢٢٧) (٣٥٧٩): «وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ سَمِعَهُ مِنْ عَائِشَةَ، وَأَخَذَهُ عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْهَا، فَرَوَاهُ مَرَّةً عَنْهَا، وَأُخْرَىٰ عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ».

وَصَحَّحَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ| ١٤-٨-٢٠١١م.

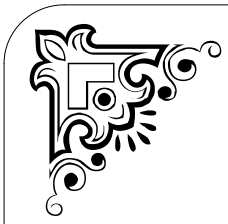

آمَالُ الْأَنْبِيَاءِ فِي هِدَايَةِ أَقْوَامِهِمْ

إِنَّ الْأَمَلَ هُوَ طَرِيقُ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ خُلُقُ الْأَصْفِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ ﷻ، وَالْأَنْبِيَاءُ هُمْ صَفْوَةُ الْخَلْقِ، وَأَنْقَى النَّاسِ نُفُوسًا، وَأَسْمَاهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ آمَالًا، وَمِنْ ذَلِكَ: أَمَلُهُمْ فِي هِدَايَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَقْوَامَهُمْ؛ فَهَذَا الْخَلِيلُ عليه السلام وَصَبْرُهُ عَلَى قَوْمِهِ، وَعِظَمُ أَمَلِهِ فِي هِدَايَتِهِمْ؛ فَـ«قَدْ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ أَخْبَارًا كَثِيرَةً مِنْ سِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ، فِيهَا لَنَا الْأُسْوَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ عُمُومًا، وَبِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْخُصُوصِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّنَا وَأَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِ، وَهِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدَ وَأَخْلَاقٍ وَأَعْمَالٍ قَاصِرَةٍ وَمُتَعَدِّيَةٍ؛ فَقَدْ آتَاهُ اللهُ رُشْدَهُ، وَعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ مُنْذُ كَانَ صَغِيرًا، وَأَرَاهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ يَقِينًا وَعِلْمًا، وَقُوَّةً فِي دِينِ اللهِ، وَرَحْمَةً بِالْعِبَادِ.

وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ، وَهُمْ فَلَاسِفَةُ الصَّابِئَةِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَخْبَثِ الطَّوَائِفِ، وَأَعْظَمِهِمْ ضَرَرًا عَلَىٰ الْخَلْقِ، فَدَعَاهُمْ بِطُرُقٍ شَتَّىٰ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ: دَعَاهُمْ بِطَرِيقَةٍ لَا يُمْكِنُ صَاحِبَ عَقْلٍ أَنْ يَنْفِرَ مِنْهَا.

فَرَفَعَ اللهُ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ بِالْعِلْمِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، وَعَجَزُوا عَنْ نَصْرِ بَاطِلِهِمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ صَمَّمُوا عَلَىٰ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِمُ الْوَعْظُ وَالتَّذْكِيرُ

وَإِقَامَةُ الْحُجَجِ، فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ نَهْيًا عَامًّا وَخَاصًّا، وَأَخَصُّ مَنْ دَعَاهُ: أَبُوهُ آزَرُ؛ فَإِنَّهُ دَعَاهُ بِعِدَّةِ طُرُقٍ نَافِعَةٍ؛ وَلَكِنْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

فَمِنْ جُمْلَةِ مَقَالَاتِهِ لِأَبِيهِ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٢-٤٣].

فَانْظُرْ إِلَىٰ حُسْنِ هَذَا الْخِطَابِ الْجَاذِبِ لِلْقُلُوبِ؛ لَمْ يَقُلْ لِأَبِيهِ: إِنَّكَ جَاهِلٌ؛ لِئَلَّا يَنْفِرَ مِنَ الْكَلَامِ الْخَشِنِ، بَلْ قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٣-٤٥].

فَانْتَقَلَ بِدَعْوَتِهِ مِنْ أُسْلُوبٍ لِآخَرَ؛ لَعَلَّهُ يَنْجَعُ فِيهِ أَوْ يُفِيدُ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

هَذَا وَإِبْرَاهِيمُ لَمْ يَغْضَبْ، وَلَمْ يُقَابِلْ أَبَاهُ بِبَعْضِ مَا قَالَ، بَلْ قَابَلَ هَذِهِ الْإِسَاءَةَ الْكُبْرَىٰ بِالْإِحْسَانِ، فَقَالَ: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: ٤٧]؛ أَيْ: لَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ إِلَّا بِكَلَامٍ طَيِّبٍ لَا غِلْظَةَ فِيهِ وَلَا خُشُونَةَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَسْتُ بِآيِسٍ مِنْ هِدَايَتِكَ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]؛ أَيْ: بَارًّا رَحِيمًا، قَدْ عَوَّدَنِي لُطْفَهُ، وَأَجْرَانِي عَلَىٰ عَوَائِدِهِ الْجَمِيلَةِ، وَلَمْ يَزَلْ لِدُعَائِي مُجِيبًا.

فَلَمْ يَزَلْ إِبْرَاهِيمُ مَعَ قَوْمِهِ فِي دَعْوَةٍ وَجِدَالٍ، وَقَدْ أَفْحَمَهُمْ وَكَسَرَ جَمِيعَ حُجَجِهِمْ وَشُبَهِهِمْ، فَأَرَادَ ﷺ أَنْ يُقَاوِمَهُمْ بِأَعْظَمِ الْحُجَجِ، وَأَنْ يَصْمُدَ لِبَطْشِهِمْ وَجَبَرُوتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا وَجِلٍ»(١). (*).

وَ«نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ عليه السلام لَمَّا بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ، وَيَعْرِفُونَ صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَكَمَالَ أَخْلَاقِهِ، فَقَالَ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَرَغَّبَهُمْ فِي خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٢ - ٤].

فَلَمَّا بَادَأَهُمْ بِالْأَمْرِ بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَتَسْفِيهِ آرَائِهِمْ، وَتَخْوِيفِهِمْ بِعُقُوبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالُوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَطْرُدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ اسْتِكْبَارًا مِنْهُمْ، وَاسْتِنْكَافًا عَلَىٰ الْحَقِّ وَعَلَىٰ الْخَلْقِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِهِ ضَلَالٌ، وَإِنَّمَا بِهِ تَزُولُ الضَّلَالَةُ عَنِ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ رَسُولٌ أَمِينٌ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَبَرَاهِينَ وَاضِحَةٍ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَحِلُّ طَرْدُهُمْ، بَلْ حَقُّهُمُ الْإِكْرَامُ وَالِاحْتِرَامُ، وَأَنَّهُ لَا يَدَّعِي لَهُمْ طَوْرًا يُزَاحِمُ فِيهِ الرَّبَّ، فَقَالَ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١].

---

(١) «تيسير اللطيف المنان»: (ص ١٩٨ - ٢٠١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «سِيرَةُ الْخَلِيلِ ﷺ» - الْجُمُعَةُ ٢٠ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٦هـ| ٤ - ٩-٢٠١٥م.

فَلَمْ يَزَلْ يَدْعُوهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهْرًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤُهُ إِلَّا فِرَارًا وَنُفُورًا وَإِعْرَاضًا، وَتَوَاصِيًا مِنْهُمْ عَلَىٰ الْإِقَامَةِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا.

فَإِنَّ نُوحًا دَعَا قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَجَهَارًا، بِكُلِّ وَقْتٍ وَبِكُلِّ حَالَةٍ يَظُنُّ فِيهَا نَجَاحَ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّهُ رَغَّبَهُمْ بِالثَّوَابِ الْعَاجِلِ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعِقَابِ، وَبِالتَّمْتِيعِ بِالْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ، وَإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ إِذَا آمَنُوا، وَبِالثَّوَابِ الْآجِلِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ، وَصَبَرَ عَلَىٰ هَذَا صَبْرًا عَظِيمًا كَغَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ، وَخَاطَبَهُمْ بِالْكَلَامِ الرَّقِيقِ وَالشَّفَقَةِ، وَبِكُلِّ لَفْظٍ جَاذِبٍ لِلْقُلُوبِ مُحَصِّلٍ لِلْمَطْلُوبِ، وَأَقَامَ الْآيَاتِ، وَبَيَّنَ الْبَرَاهِينَ»(١).(*).

وَهَذَا صَبْرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ، وَأَمَلُهُ فِي هِدَايَتِهِمْ.. لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ، وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاللهِ مَا خَلُصَ إِلَيَّ أَحَدٌ بِأَذًىٰ أَوْ بِشَيْءٍ أَكْرَهُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ**»(٣).

---

(١) «**تيسير اللطيف المنان**»: (ص١٨١-١٨٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ)، الْخَمِيسُ ٢٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٤هـ| ٣-١٠-٢٠١٣م

(٣) أخرجه يونس بن بكير في زوائده علىٰ «**السيرة**» لابن إسحاق: ص ٢٣٩، وابن هشام في «**السيرة**»: ١/ ٤١٦، وابن سعد في «**الطبقات الكبرىٰ**»: ١/ ١٠٣، والطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: ١/ ١١٩٩، وعباس الدوري في «**تاريخ ابن معين**»: ٣/ ٤٣، رقم (١٧٤)، والخطابي في «**غريب الحديث**»: ١/ ١٢٩، والبيهقي في «**دلائل النبوة**»: ٢/ ٣٤٩، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ٦٦/ ٣٣٩، ترجمة (٨٦١٣)، من طرق: عَنْ =

ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَنْقُلَ الدَّعْوَةَ بِمَرْكَزِهَا -مَرْكَزِ الثِّقَلِ فِي الدَّعْوَةِ- إِلَىٰ الطَّائِفِ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ اسْتَعْصَتْ -صَارَتْ حَالَتُهَا مُسْتَعْصِيَةً- يَعْنِي: كَمَا يَقُولُونَ: أَتَت بِآخِرِ مَا عِنْدَهَا.

الدَّعْوَةُ هَكَذَا وَصَلَتْ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْمَسْدُودِ فِي مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْقُلَ مَرْكَزَ الدَّعْوَةِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، فَذَهَبَ إِلَىٰ ثَقِيفٍ وَحَدَثَ عِنْدَهُمْ مَا حَدَثَ مِنَ الْإِيذَاءِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَغْرَوْا بِهِ الْغِلْمَانَ وَالسُّفَهَاءَ وَالضُّعَفَاءَ يَقْذِفُونَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَبْتَعِدُ عَنْ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ؛ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ فِي مَرْمَىٰ أَحْجَارِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ فِي عَقِبِهِ، وَبَلَغَ مِنْهُ التَّعَبُ مَبْلَغَهُ؛ حَتَّىٰ مَا كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ، فَمَا وَصَلَ إِلَىٰ ظِلِّ حَائِطِ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ إِلَّا عَلَىٰ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَكَانَ مَا كَانَ(١).

=

هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، مرسلا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ**»، وفي رواية: «**مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعِّينَ عَنِّي حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ**».

قال الخطابي: «(كَاعَةٌ) جَمْعُ كَائِعٍ، وَهُوَ: (الجَبَانُ)، كما يقال: بَائِع وبَاعة، وقائِد وقَادةٌ، يريد أنه كان يحوط رسول الله ﷺ ويَذُبُّ عَنْه، فكانت قُرَيْش تَكِيع وتَجْبُن عن أذاه».

(١) أخرج ابن هشام في «**السيرة**»: ١/ ٤١٩، والطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: ١/ ١٢٠٠، بإسناد صحيح، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، مرسلا، قَالَ: لَمَّا انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالَيْلَ وَمَسْعُودُ وَحَبِيبُ بَنُو عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَىٰ مَنْ =

مَعَ هَذَا الْأَسَىٰ كُلِّهِ، وَمَعَ هَذَا الْعَنَتِ، وَمَعَ هَذَا الْإِيذَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَالْمَوْجِدَةِ فِي الْقَلْبِ، وَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي جِوَارِ رَجُلٍ مُشْرِكٍ، وَهُوَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ، فَلَمْ يَدْخُلِ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي جِوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ(١).

=

خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فلما كذبوه قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يئس من خبر ثَقِيفٍ، فَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّىٰ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَلْجَئُوهُ إِلَىٰ حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ،... الحديث.

والحديث أصله في «الصحيحين»، من رواية: عَائِشَةَ رضي الله عنها، مختصرا.

(١) أخرج ابن سعد في «**الطبقات الكبرىٰ**»: ١/ ١٨٠ و١٨١، ومن طريقه: ابن الجوزي في «المنتظم»: ٣/ ١٢ و١٣، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، مرسلا، قال: انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ من الطائف رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ وَهُوَ مَحْزُونٌ، فَقَالَ لَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: كَيْفَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ -يَعْنِي قُرَيْشًا- وَهُمْ أَخْرَجُوكَ؟ فَأَرْسَلَ رَجُلا مِنْ خُزَاعَةَ إِلَىٰ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: «**أَدْخُلُ فِي جِوَارِكَ؟**» فَقَالَ: نَعَمْ، وَدَعَا بَنِيهِ وَقَوْمَهُ فَقَالَ: تَلَبَّسُوا السِّلاحَ وَكُونُوا عِنْدَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ فَإِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَامَ مُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ فَنَادَىٰ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ مُحَمَّدًا فَلا يَهْجُهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَانْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلىٰ الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ وَانْصَرَفَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وَوَلَدُهُ مُطِيفُونَ بِهِ.

والخبر ذكره بنحوه ابن هشام في «**السيرة**»: ١/ ٣٨١، وابن جرير الطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: ١/ ١٢٠٣ و١٢٠٤، وابن كثير في «**البداية والنهاية**»: ٤/ ٣٤٣، وعزاه للأموي في «مغازيه».

=

فَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ هَذَا كُلِّهِ عِنْدَمَا أَتَىٰ مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَالَ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ -أَيِ: الجَبَلَيْنِ-؛ فَعَلْتُ، جَعَلَنِي اللهُ ﷻ طَوْعَ أَمْرِكَ».

قَالَ: «**لَا؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِم مَنْ يُوَحِّدُ اللهَ ﷻ**»(١).

فَصَدَقَ مَنْ سَمَّاهُ الرَّؤُوفَ الرَّحِيمَ ﷺ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَأْخُذْهُمْ إِلَّا بِالْحِلْمِ وَالْفَضْلِ؛ لِأَنَّ الْهِدَايَةَ بِيَدِ اللهِ ﷻ.(*).

❀❀❀

=

ويشهد لصحة هذا الخبر؛ ما أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٢٤٣، رقم (٣١٣٩)، وفيه أيضا: ٧/ ٣٢٣، رقم (٤٠٢٤)، من حديث: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ: «**لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**».

وزاد سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة عند أبي يعلىٰ في «**المسند**»: ١٣/ ٤١٢، رقم (٧٤١٦) وغيره: «وكَانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَلَّمَ يَدٌ».

قال ابن حجر في «**الفتح**»: ٧/ ٣٢٤: «بَين ابن شَاهِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَدِ الْمَذْكُورَةِ: مَا وَقَعَ مِنْهُ حِينَ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الطَّائِفِ وَدَخَلَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عدي».

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٣١٢ و٣١٣، رقم (٣٢٣١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٤٢٠ و١٤٢١، رقم (١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «مَعَارِجُ الْقَبُولِ» - الْمُحَاضَرَة ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ| ٤-٢-٢٠١٢م.

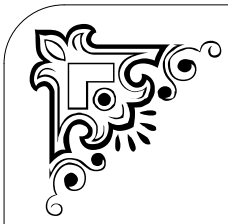

مِنَ الْأَمَلِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

إِنَّ مِنَ الْأَمَلِ: حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ وَهَلْ بَقِيَ لَنَا إِلَّا إِحْسَانُ الظَّنِّ بِرَبِّنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ!! عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وقوله: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي**»: أَيِ: الْمُؤْمِنِ «**بِي**»، وَالْمَعْنَىٰ: أَنِّي عِنْدَ يَقِينِهِ لِي فِي الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ فَضْلِي، وَالِاسْتِيثَاقِ بِوَعْدِي، وَالرَّهْبَةِ مِنْ وَعِيدِي، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدِي، أُعْطِيهِ إِذَا سَأَلَنِي، وَأَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَانِي، أَيْ: إِذَا رَسَخَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ، وَتَمَكَّنَ فِي الْإِيمَانِ وَالْوُثُوقِ بِاللهِ قَرُبَ مِنْهُ وَرَفَعَ لَهُ الْحِجَابَ بِحَيْثُ إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ، وَإِذَا سَأَلَهُ اسْتَجَابَ، كَمَا فِي الحَدِيثِ القدسي: «**عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لَهُ**»، وقوله: «**وَأَنَا مَعَهُ**»، أَيْ: بِالتَّوْفِيقِ وَالْحِفْظِ وَالْمَعُونَةِ أَوْ أَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ، أَوْ عَالِمٌ بِحَالِهِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ مَقَالِهِ، «**إِذَا ذَكَرَنِي**»، أَيْ: بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، وقوله: «**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ**»، أَيْ: مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ فِي حَضْرَتِهِمْ، «**ذَكَرْتُهُ**»، أَيْ: بِالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ وَإِعْطَاءِ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَحُسْنِ

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ(١) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ**».

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَخْرَجَهُ(٢): قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** جَلَّ وَعَلَا».

=

الْقَبُولِ وَتَوْفِيقِ الْوُصُولِ، «**فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ**»، أَيْ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ. «**وإن تقرب إليّ**» بتشديد الياء «**شبرًا**»، أي: مقدار شبر، وهو: قدر بعد ما بين رأس الخنصر ورأس الإبهام والكف مبسوطة مفرقة الأصابع، «**تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذرعًا**» بكسر الذال المعجمة، أي: بقدر ذراع، وهو من الإنسان: من المرفق إلىٰ أطراف رؤوس الأصابع، «**تقربت إليه باعًا**»، أي: بقدر باع، وهو: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالا، «**وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»: إسراعًا.

هذه كلها أمثال ضربت تدلّ علىٰ أن الله تعالىٰ لا يضيع عمل عامل وإن قل، بل يقبله ويجعل له ثوابه مضاعفا، قَالَ أَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيّ فِي «**الجامع**» (٣٦٠٣): ويروىٰ عَن الْأَعْمَش فِي تَفْسِير هَذَا الحَدِيث: «**تقربت مِنْهُ ذِرَاعا**» قَالَ: يَعْنِي بالمغفرة وَالرَّحْمَة، قَالَ: وَهَكَذَا فسر بعض أهل الْعلم هَذَا الحَدِيث. قَالُوا: مَعْنَاهُ: إِذا تقرب إِلَيّ بطاعتي سارعت إِلَيْهِ بمغفرتي ورحمتي.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٣)، والترمذي (٣٦٠٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٧ و٣٠٤ و٣٥٩ و٤٠٧ و٤٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

=

فَنَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَأَنْ يُجِيرَنَا وَأَنْ يُعِيذَنَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.(*).

❀❀❀

=

وزاد أحمد في رواية (٣/ ٣٩٠-٣٩١): «...، **فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللهِ**»، فَقَالَ اللهُ: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٥هـ| ١١-٤-٢٠١٤م.

الْأَمَلُ الْمَذْمُومُ وَسُوءُ عَاقِبَتِهِ

الْأَمَلُ مِنْهُ مَا هُوَ مَذْمُومٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَحْمُودٌ.

أَمَّا الْأَمَلُ الْمَذْمُومُ: فَهُوَ أَنْ يَسْتَرْسِلَ الْإِنْسَانُ مَعَ الْأَمَلِ، وَلَا يَسْتَعِدَّ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ.

فَمَنْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ، وَهِيَ عَدَمُ الِاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ، وَعَدَمُ الِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ، وَعَدَمُ تَرَقُّبِ الْمَوْتِ.. أَنَّهُ يَأْتِي بَغْتَةً، وَأَنَّهُ يَقَعُ فَجْأَةً.

إِذَا سَلِمَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ؛ فَإِنَّ الْأَمَلَ يَكُونُ مَحْمُودًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَا أَنَّ اللهَ جَعَلَ الْأَمَلَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؛ مَا اسْتَطَاعَ إِنْسَانٌ أَنْ يَعِيشَ فِيهَا لَحْظَةً وَاحِدَةً.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْقَوَاطِعِ فِي طَرِيقِ سَيْرِ الْعَبْدِ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَمِنَ أَكْبَرِ الْعَوَائِقِ الَّتِي تُعَوِّقُ الْإِنْسَانَ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ رِضْوَانِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوَائِقِ: طُولَ الْأَمَلِ، وَعَدَمَ تَذَكُّرِ الْمَوْتِ.

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَحْظُورِ، وَطَالَ أَمَلُهُ، وَلَمْ يَتَذَكَّرْ نِهَايَتَهُ وَأَجَلَهُ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَتَأَتَّىٰ مِنْهُ كَثِيرُ خَيْرٍ، بَلْ يَأْتِي مِنْهُ تَخْلِيطٌ وَتَقْصِيرٌ وَتَسْوِيفٌ.

وَأَمَّا الَّذِينَ لَا يَطُولُ أَمَلُهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَيَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا؛ فَهَؤُلَاءِ يُحْسِنُونَ الْعَمَلَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَوَقَّعُونَ النِّهَايَةَ وَالْقُدُومَ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكُلِّ حِينٍ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَرَادَ لَنَا فِي دِينِهِ الْعَظِيمِ، وَبَيَّنَ لَنَا عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ أَنَّ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَلَّا يَطُولَ فِي الْحَيَاةِ أَمَلُهُ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَوَقِّعًا لِلْمَوْتِ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْرِي مَا سَيَكُونُ بَعْدَ اللَّحْظَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَىٰ التَّوْبَةِ، وَعَلَىٰ تَرَقُّبِ الْعَوْدَةِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَيَنْظُرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ عَمَلِهِ، فَإِذَا أَحْسَنَ؛ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا أَسَاءَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ» - الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ١١-١٠-٢٠٠٥م.

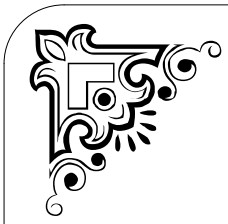

ابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِ كَالدَّوَاءِ لَهُ

إِنَّ الِابْتِلَاءَ مُرْتَبِطٌ بِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ، فَمَا دَامَتْ هُنَاكَ حَيَاةٌ؛ فَهُنَاكَ -حَتْمًا- ابْتِلَاءٌ، وَالْإِنْسَانُ بِتَفْكِيرِهِ الْقَاصِرِ لَا يَعْلَمُ فَوَائِدَ الِابْتِلَاءِ الَّتِي تَعُودُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَفِي آخِرَتِهِ، وَلَا يَعْلَمُ مَدَىٰ حِكْمَةِ اللهِ فِي اخْتِيَارِ ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-[1]: «إِنَّ ابْتِلَاءَ الْمُؤْمِنِ كَالدَّوَاءِ لَهُ، يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْأَدْوَاءَ الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ فِيهِ لَأَهْلَكَتْهُ، أَوْ نَقَصَتْ ثَوَابَهُ، وَأَنْزَلَتْ دَرَجَتَهُ؛ فَيَسْتَخْرِجُ الِابْتِلَاءُ وَالِامْتِحَانُ مِنْهُ تِلْكَ الْأَدْوَاءَ، وَيَسْتَعِدُّ بِذَلِكَ إِلَىٰ تَمَامِ الْأَجْرِ، وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ».(*).

«يَبْتَلِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الشَّخْصِيِّ فِيمَا يُصِيبُهُ فِي نَفْسِهِ، أَوْ فِيمَنْ يُهِمُّهُ، فَيُنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ النَّاسِ مَا يَشَاءُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ ضُرُوبِ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْتَلِيَ صَبْرَهُمْ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْلَمَ صِدْقَهُمْ.

---

(١) «**إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ**»: (٢/ ٩٣٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «فَوَائِدُ الِابْتِلَاءِ» - الْأَحَدُ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤١هـ| ٢٢-٣-٢٠٢٠م.

وَيَأْتِي الِابْتِلَاءُ الِاجْتِمَاعِيُّ فِي هَذَا التَّفَاعُلِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْكَوَائِنِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْأُخْرَىٰ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي يُعَاشِرُهَا وَيُعَالِجُهَا وَيُخَالِطُهَا، فَيَأْتِي مَا يَأْتِي مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الْبَشَرُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ.

ثُمَّ يَأْتِي الِابْتِلَاءُ الْجَمَاعِيُّ الْأُمَمِيُّ عِنْدَمَا يُنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ بَعْضِ الْأُمَمِ، أَوْ عَلَىٰ بَعْضِ الْجَمَاعَاتِ مِنْ تَجَمُّعَاتِ الْبَشَرِ.. يُنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ نِقْمَتَهُ وَسَخَطَهُ عِنْدَمَا يَخْرُجُونَ عَنْ أَمْرِهِ؛ لِيَرُدَّهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ الْحَقِّ، أَوْ لِيُعَاقِبَهُمْ عَلَىٰ مَا أَسْلَفُوا مِنَ الْإِسَاءَةِ.

إِنَّ حِكْمَةَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ اقْتَضَتْ أَنْ يَبْتَلِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِنْدَمَا يَبْتَلِي الْإِنْسَانَ بِالضُّرِّ وَالشَّرِّ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ تَقْوِيَةً لِلْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

وَيَكُونُ ذَلِكَ الِابْتِلَاءُ جِسْرًا يُوصِلُ إِلَىٰ أَكْمَلِ الْغَايَاتِ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ لِلتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ تَمْحِيصٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَتَخْلِيصٌ لَهُ مِنَ الشَّوَائِبِ الْمُنَافِيَةِ لِلْإِيمَانِ.

وَهُوَ رَدْعٌ وَتَحْذِيرٌ مِنَ الْغُرُورِ، وَهُوَ رَحْمَةٌ بِالْعُصَاةِ، وَتَخْفِيفٌ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَيْضًا هُوَ إِقَامَةُ حُجَّةِ الْعَدْلِ عَلَىٰ الْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ وَعَلَىٰ الْعِبَادِ»(١). (*).

❀❀❀

(١) «**نَضْرَةُ النَّعِيمِ**»: (١/ ١٠ - ١٨)، باختصار.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الدُّنْيَا دَارُ ابْتِلَاءٍ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ٧-١٠-٢٠٠٥م.

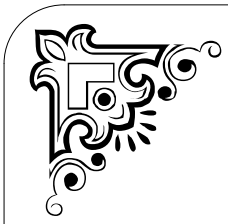
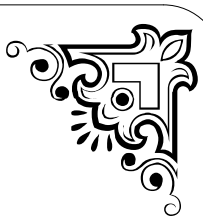

الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْمِحَنِ

عِبَادَ اللهِ! مَهْمَا اشْتَدَّتْ عَلَى الْمَرْءِ الْمِحْنَةُ؛ فَلَا يَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ «فَإِنَّ الرَّجَاءَ يُوجِبُ لِلْعَبْدِ السَّعْيَ وَالِاجْتِهَادَ فِيمَا رَجَاهُ، وَالْإِيَاسُ يُوجِبُ لَهُ التَّثَاقُلَ وَالتَّبَاطُؤَ، وَأَوْلَىٰ مَا رَجَا الْعِبَادُ: فَضْلُ اللهِ، وَإِحْسَانُهُ، وَرَحْمَتُهُ وَرَوْحُهُ»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَرَوْحُ اللهِ هُنَا: رَحْمَتُهُ(٢) الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَجُوزُ الْوُقُوفُ مِنْهَا مَوْقِفَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ؛ مَهْمَا اشْتَدَّتْ بِالْإِنْسَانِ الْمِحَنُ، وَتَكَالَبَتْ عَلَيْهِ الرَّزَايَا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ الْفَرَجِ، وَتَفْرِيجِ الْكَرْبِ، وَتَبْدِيدِ الْخُطُوبِ، وَالشَّكُّ فِي ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِنِسْبَةِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاعْتِقَادُ ذَلِكَ بِاللهِ ﷻ كُفْرٌ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

---

(١) «**تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ**»: (ص ٤٠٤).

(٢) أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «**التَّفْسِيرِ**»: (٢/ ٢٢٢، رقم ١٣٣٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «**جَامِعِ الْبَيَانِ**»: (١٣/ ٤٩)، ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «**التَّفْسِيرِ**»: (٧/ ٢١٩٠، رقم ١١٩١١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ**﴾، قَالَ: «**مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**».
وقال الضحاك والسدي، بنحوه.

وَلَقَدْ نَهَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ هَذَا الْيَأْسِ وَذَلِكَ الْقُنُوطِ؛ مَهْمَا كَانَتِ الْحَالُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَبْدُ، وَاسْتَقَرَّتْ فِيهَا الشِّدَّةُ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ أَحْوَالًا لِعِبَادِهِ بَلَغَ فِيهَا بَعْضُهُمْ مَبْلَغَ الْحَرَجِ، وَكَادُوا فِيهَا أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لِلْيَأْسِ، فَجَاءَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَجُ، وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَبْدِيدِ الشَّدَائِدِ، وَإِزَالَةِ الْكُرَبِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

بَعْدَ هَذَا الزِّلْزَالِ الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَعْدَ تِلْكَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ الَّتِي رَكِبَتْهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ جَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَأَمَامَ هَذِهِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَىٰ النُّفُوسِ الْيَأْسُ، وَلَا أَنْ يَسْتَحْكِمَ فِيهَا الْقُنُوطُ مَا دَامَتْ قُدْرَةُ اللهِ ﷻ أَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، وَمَا دَامَ سُلْطَانُهُ فَوْقَ كُلِّ هَذَا الْوُجُودِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ**﴾ [الأنعام: ٦٤].

«**قُلْ لَهُمْ**: اللهُ -سُبْحَانَهُ- يُخَلِّصُكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَمِنَ الظُّلُمَاتِ، وَمِنْ كُلِّ غَمٍّ شَدِيدٍ»(١). (*).

وَقَالَ ﷻ: ﴿**وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ**﴾ [المؤمنون: ٨٨].

«وَهُوَ الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ عَلَىٰ حِمَايَةِ مَنِ احْتَمَىٰ بِهِ، مَنِ اسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ، كَفَاهُ وَحَمَاهُ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ بَعْدَ اللهِ أَحَدًا يُؤَمِّنُهُ فَيَكْفِيهِ وَيَحْمِيهِ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ»(٣). (*/٢).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟

قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**(٥)، **يُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ قَدْرِ**

---

(١) «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**»: (ص١٣٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الأنعام: ٦٤].

(٣) «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**»: (ص٣٤٧).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[المؤمنون: ٨٨].

(٥) «**الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**»، أي: الأشرف فالأشرف، والأعلىٰ فالأعلىٰ في الرتبة والمنزلة، يقال: هذا أمثل من هذا، أي: أفضل وأدنىٰ إلىٰ الخير، وأماثل الناس: خيارهم.

دِينِهِ(١)، **فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ؛ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ**(٢)**؛ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَمْشِيَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٣).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ(٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَصْفُ لِأَحَدٍ؛ وَلَوْ نَالَ مِنْهَا مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**(٥)».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(٦).

---

(١) «**عَلَىٰ قَدْرِ دِينِهِ**»، أَيْ: مِقْدَارِهِ ضَعْفًا وَقُوَّةً، وَنَقْصًا وَكَمَالًا.

(٢) «**فِي دِينِهِ رِقَّةٌ**»، أَيْ: ضَعْفٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: كتاب الزهد: باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، (٢٣٩٨)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كتاب الفتن: باب الصبر علىٰ البلاء، (٤٠٢٣)، وأحمد في «**المسند**»: (١/ ١٧٢، رقم١٤٨١) واللفظ له.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ٢٧٣، رقم ١٤٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كتاب المرضىٰ: باب ما جاء في كفارة المرض، (٥٦٤٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٥) «**يُصِبْ مِنْهُ**»، أَيِ: ابْتَلاه بالمَصَايب لِيُثِيبَه عَلَيْهَا، يُقَالُ: مُصِيبَة ومَصُوبَة ومُصَابَة، والجمعُ: مَصَايب ومَصَاوِب، وَهُوَ: الْأَمْرُ الْمَكْرُوهُ ينْزِل بالإنسانِ.

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: كتاب الزهد: باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، (٢٣٩٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كتاب الفتن: باب الصبر علىٰ البلاء، (٤٠٣١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

=

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*).

*** عِبَادَ اللهِ! كُلَّمَا عَظُمَ صِدْقُ الْعَبْدِ وَإِخْلَاصُهُ؛ زَادَ أَمَلُهُ فِي تَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:** سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّىٰ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَىٰ غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ.**

فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبُقُ قَبْلَهُمَا أَهلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ بِي طَلَبُ شَجَرٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا -وَالْغَبُوقُ: الشَّرَابُ الَّذِي يُشْرَبُ بِالْعَشِيِّ-. **قَالَ: فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبُقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَلَبِثْتُ** -أَيْ: بَقِيتُ- **وَالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ».**

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «**وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي** -يَعْنِي: أَنَّ أَوْلَادَهُ كَانَ يَصِيحُونَ مِنَ الْجُوعِ عِنْدَ قَدَمَيهِ، فَلَمْ يُقَدِّمْهُمْ عَلَىٰ أَبَوَيْهِ- **قَالَ: فَاسْتَيْقَظَا** -يعْنِي: أَبَوَيْهِ- **فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ».**

=

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وكذا حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ٢٧٦، رقم ١٤٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «فَوَائِدُ الِابْتِلَاءِ» - الْأَحَدُ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤١هـ| ٢٢-٣-٢٠٢٠م.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ** -وَالسَّنَةُ: الْقَحْطُ وَمَا يَكُونُ مَعَهُ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْجُوعِ وَالْفَقْرِ-.

قَالَ: فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَىٰ أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّىٰ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ.

قَالَ: فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي.**

فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ أَجْرِك؛ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي.

فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ وَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.**

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَىٰ فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ -وَالْفَرَقُ: مِكْيَالٌ مَعْلُومٌ- **فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَإِنِّي عَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَىٰ أَنِ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ.**

فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ..». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَرِيبًا مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَينِ»(١).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ عِظَمِ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَعَلَىٰ أَنَّ الأَعْمَالَ لَيْسَتْ بِكَثْرَتِهَا، وَإِنَّمَا بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا، بِتَخْلِيصِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَمِمَّا يُحْبِطُهَا.

فَمَهْمَا حَاوَلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِعَمَلٍ لَمْ يَصْدُقْ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ للهِ مُخْلِصًا؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْبِطُ عَمَلَهُ وَيَرُدُّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا فِيهِ عَذَّبَهُ عَلَيْهِ.(*).

❀❀❀

(١) «**صحيح البخاري**»: ٦/ ٥٠٦، رقم (٣٤٦٥)، وفي مواضع، و«**صحيح مسلم**»: ٤/ ٢٠٩٩، رقم (٢٧٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

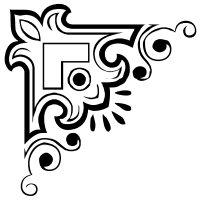

الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ

«إِنَّ الْفَرَجَ مَعَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا تَرَاكَمَتِ الشَّدَائِدُ الْمُتَنَوِّعَةُ، وَضَاقَ الْعَبْدُ ذَرْعًا بِحَمْلِهَا؛ فَرَّجَهَا فَارِجُ الْهَمِّ، كَاشِفُ الْغَمِّ، مُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَهَذِهِ عَوَائِدُهُ الْجَمِيلَةُ؛ خُصُوصًا لِأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ؛ لِيَكُونَ لِذَلِكَ الْوَقْعُ الْأَكْبَرُ، وَالْمَحَلُّ الْأَعْظَمُ، وَلِيَجْعَلَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ مَا يُوَازِنُ وَيَرْجَحُ بِمَا جَرَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ بِلَا نِسْبَةٍ»(١).

«فَسُبْحَانَ مَنْ يُنْعِمُ بِبَلَائِهِ، وَيَلْطُفُ بِأَصْفِيَائِهِ، وَهَذَا عُنْوَانُ الْإِيمَانِ، وَعَلَامَةُ السَّعَادَةِ»(٢).(*).

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْحَمَنَا، وَأَنْ يَعْفُوَ عَنَّا، وَأَنْ يَرْفَعَ عَنْ أُمَّتِنَا مَا نَزَلَ بِهَا مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.(*/٢).

---

(١) «**تيسير اللطيف المنان**»: (ص٢٨٥).

(٢) «**تيسير اللطيف المنان**»: (ص٢٨٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَتَيْنِ: الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ، وَالسَّابِعَةَ عَشْرَةَ)، الثُّلَاثَاءُ ٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٨-١٠-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «فَوَائِدُ الِابْتِلَاءِ» الْأَحَدُ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤١هـ| ٢٢-٣-٢٠٢٠م.

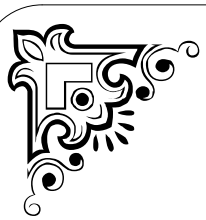

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣
الْأَمَلُ وَأَسْرَارُهُ اللَّطِيفَةُ..... ٤
الْأَمَلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ..... ٦
الْأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ..... ١١
آمَالُ الْأَنْبِيَاءِ فِي هِدَايَةِ أَقْوَامِهِمْ..... ٢١
مِنَ الْأَمَلِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى..... ٢٨
الْأَمَلُ الْمَذْمُومُ وَسُوءُ عَاقِبَتِهِ..... ٣١
ابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِ كَالدَّوَاءِ لَهُ..... ٣٣
الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْمِحَنِ..... ٣٥
الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ..... ٤٢
الْفِهْرِسُ..... ٤٣